Journal of Science and Knowledge Horizons
ISSN 2800-1273-EISSN 2830-8379

Al Buhamidi Al Walhasi Mosque in the Coastal Area of Walhasa: An Archaeological Study

Mjahdi Ibrahim1, Ben Snoussi Bouziane2*
1 Laboratoire du Patrimoine Archéologique et sa Valorisation, brahimtlmcuat@gmail.com
2 Researcher in the History of the Region, Algeria, brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz

Date of Submission: 02/11/2021
Date of Acceptance: 12/12/2021
Date of Publication: 24/01/2022

Abstract:
The Oulhaça region, the focal point of our study, has witnessed the construction of numerous architectural structures throughout various Islamic periods. These structures varied in type, style, function, and origin. Many have either disappeared, been demolished, or left in ruins, while others were modified or partially changed. Among the steadfast architectural witnesses of these prosperous periods in Islamic history is the Buhamidi Mosque, which serves as the subject of this archaeological study. This study aims to explore the historical and architectural significance of this mosque and its enduring presence in the Oulhaça region.

Keywords: Oulhaça, Al Buhamidi Mosque, Islamic architecture, historical structures, archaeological study, architectural heritage

Corresponding Author: Mjahdi Ibrahim

مسجد البوحميدي الولهاصي بمنطقة ولهاصة السّاحلية

دراسة أثرية

Al Buhamidi Al Walhasi Mosque in the coastal area of Walhasa

archaeological study

مجاهدي إبراهيم[1]*، بن سنوسي بوزيان[2]

brahimtlmcuat@gmail.com ، مخبر التّراث الأثري وتثمينه.

[2]باحث في تاريخ المنطقة،(الجزائر)، brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz .

تاريخ ارسال المقال:02 /2021/11	تاريخ القبول:2021/12/12	تاريخ النشر: 2022/01/24

الملخص:

عرفت منطقة ولهاصة باعتبارها المجال المكاني لدراستنا، عبر مختلف الفترات الإسلامية، عديد المنشآت المعمارية على اختلاف أنواعها وطرزها ووظيفتها وأصولها، منها ما اندثر أو هُدّم أو بقي أطلالا في أفضل الأحوال، ومنها ما حُوّل أو تمّ تغييره أو أجزاء منه، ومنه ما بقي صامدا شامخا شاهدا على تلك الفترات المزدهرة من التّاريخ الإسلامي كمسجد البوحميدي محل دراستنا.

الكلمات المفتاحية:ولهاصة ؛ مسجد البوحميدي؛ دراسة أثرية.

***مجاهدي إبراهيم.**

مقدّمة:

استفادت منطقة ولهاصة من هذا التنوع المعماري في الكم الهائل من المنشآت الدينية الجنائزية كالأضرحة ومساجدها، وتبقى هذه العمائر مثالا حيّا لشهادتها – بمرور الوقت – على تاريخ المنطقة وعراقتها.

ويمكننا الاستدلال على كثرة المساجد الأثرية بمنطقة ولهاصة من خلال الإحصاءات التي قدّمها بعض الكتاب خاصة في العصر العثماني أو فترة الاحتلال الفرنسي، ونجدها أكثر في كتب الرحلات.

عندما يقوم أحد الأئمة مما أشتهر بالصلاح والعلم بتدريس مختلف العلوم في مسجد ما، فإنّ وفاته تتطلّب أن يدفن بالقرب من مسجده ذاك ويقيم له تلامذته قبة على قبره، هذه هي الفكرة الأساسية لانتشار هذا النوع من مساجد الأضرحة، وهذا هو المحور العام لدراستنا واختيار موضوعها.

أ– إشكالية الدّراسة وتساؤلاتها: مقابل كلّ ما ذكر سابقا، كان ولا بدّ لنا من تسليط الضّوء على عناصر مسجد البوحميدي الولهاصي الأثري، وإسقاط حيثيات هذا الأمر على التّوجّهات لعمارة المساجد بريف ساحل تلمسان، من هنا أتت هذه الورقة البحثية لتميط اللّثام عن هذه المسألة المعمارية الأثرية، وتجيب على إشكالية رئيسية مفادها:

ما هو التّخطيط المعماري العام لمسجد البوحميدي الولهاصي باعتباره ذات طابع وصبغة أثريين؟

وبهدف الإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت طرح مجموعة من التّساؤلات المتفرّعة عنها:

- ما هو المجال العام الجغرافي للدّراسة وتطوّره التّاريخي؟
- من هو القائد البوحميدي الولهاصي الذّي نسب إليه المسجد؟
- أين يقع المسجد المعني؟ وما هو تاريخه؟
- كيف جاء تشكيله التّخطيطي ومخطّطه العام؟

ب– أهميّة الدّراسة: تكمن أهميّة هذه الدّراسة في كونها تعالج جانبا معماريا أثريا مهما يتمثّل في مسجد البوحميدي الولهاصي.

كما ترجع أهميّة هذه الدّراسة كذلك إلى عملها على إثبات أنّ المساجد الرّيفية السّاحلية رغم تنوّع مخطّطاتها ومواضعها إلّا أنّها حافظت على أهمّيتها الوظيفية من جهة، والجمالية من جهة أخرى.

وانطلاقا من هذه الأسس فإنّ دراستنا قسّمت إلى ثلاثة (3) محاور رئيسية هي:

- النّطاق الجغرافي والمدلول التّاريخي لمنطقة ولهاصة .
- شخصية القائد محمد البوحميدي .
- دراسة وصفية معمارية لمسجد البوحميدي.

المبحث الأول: النّطاق الجغرافي والمدلول التّاريخي لمنطقة ولهاصة

إن الحديث عن منطقة ما يؤدي بنا حتما إلى تحديد مجالها العام، سواء من الناحية المكانية، أو من الناحية الزمانية وهذا ما يصطلح عليه في عرف الباحثين "الزمكان"، وبنفس الطريقة حددنا الإطار الزمكاني لمنطقة ولهاصة محل دراستنا هذه.

المطلب الأول: المجال الجغرافي والاثني القبلي

في هذا المطلب سنقدم الحدود الجغرافية للمنطقة، وهذا ضمن النسيج العام الوطني (الولاية) والمحلي(الجوار)، مع مراعاة تدعيم ما يقال بخرائط ملحقة من أجل تقريب المراد.

1/ولاية عين تموشنت: تقع ولاية عين تموشنت بالغرب الجزائري، يحدها شمالا: البحر المتوسط، غربا: ولاية تلمسان، جنوبا: ولاية سيدي بلعباس، شرقا: ولاية وهران، تبلغ مساحتها إجمالا: 2376,89 كلم^2، في حين بلغ عدد سكانها 372621 نسمة حسب إحصاء 2008 م، وهي مقسمة إلى ثمان وعشرين (28) بلدية موزعة على ثمان(8) دوائر، بينما تتحدد ولاية عين تموشنت فلكيا بين دائرتي عرض 35,38° و35,45° شمال خط الاستواء، وخطي طول 1,87° و1,43°غرب خط غرينتش[1]، والخريطة الآتية تبين موضع الولاية:

خارطة الجزائر و يظهر فيها موقع ولاية عين تموشنت[2]

2/**منطقة ولهاصة** : تقع منطقة ولهاصة على الشريط الساحلي الغربي للجزائر[3]، في أقصى الحدود الغربية الشمالية لولاية عين تموشنت، يحدها شمالا: البحر المتوسط، غربا: جبال ترارة بأهم تجمعاته ، و هي بلديات بني وارسوس وبني خلاد وهنين (ولاية تلمسان)، جنوبا: بلديتا الأمير عبد القادر والرمشي (هذه الأخيرة تابعة لولاية تلمسان)، شرقا: وادي تافنة (بلدية بني صاف)، وتقع فلكيا فلكيا بين دائرتي عرض 35,15° و35,45° شمال خط الإستواء، وخطي طول 1,16° و1,30° غرب خط غرينتش[4].

خارطة تبين موقع منطقة ولهاصة الغرابة في خريطة ولاية عين تموشنت[5]

3/ التوزيع القبلي لمنطقة ولهاصة: قبيلة ولهاصة هي قبيلة تقطن الغرب الجزائري وتحديدا غرب ولاية عين تموشنت، تمتد ديارهم من غرب مدينة بني صاف إلى حدود منطقة هنين مقر قبائل ترارة الكومية، وهو إقليم يسكنه منذ القدم قبيلة ولهاصة أبناء ولهاص بن يطوفت بن نفزاو من شعوب نفزاوة، وهم اليوم قبائل عربية وبربرية مستعربة، وعروش المنطقة ينسبون كالآتي:

العرش أو الفرع	الأصل
بني خلاد	هم قبائل من زناتة البربرية وأصولهم من بني كومية وهم شعب عبد المؤمن بن علي وديارهم غرب ولهاصة بطريق هنين .
بني خالد	هؤلاء أصلهم من منطقة بني زناسن شمال وجدة وهم خليط بين أولاد خالد العرب الأدارسة وبين الزناتيين من منطقة بني زناسن .
أولاد سيدي يعقوب أولاد عبد الرحمان بالحاج	هؤلاء عرب من الأشراف السليمانيين الذين ذكرهم العشماوي والقاضي حشلاف وغيرهم، تعود أصولهم لعين الحوت بتلمسان.
أولاد بن دادا	هم من ولهاصة البربرية.
بني فوزاش	من بطون ولهاصة البربرية.
أولاد بوراس	هؤلاء عرب أشراف أصلهم من مستغانم ومازالت فروعهم في عين تادلس.
عرب السويد	هؤلاء من بني هلال أصلهم من زمورة بغليزان ولهم دوار في ولهاصة.
اولاد موسى بوجمعة	هؤلاء من بني عامر الهلاليين وأصلهم من أولاد بو جمعة شرق عين تموشنت.
بوحامدي	هم عرب و أصل هؤلاء من الأنجاد جنوب تلمسان.
بني زمعة وبني رنان	هؤلاء أصلهم من بني يفرن من بربر زناتة.
بني ريمان	هم فرقة في الضفة الأخرى وأصلهم من بربر ولهاصة.

العلايلة الظهارة أولاد سيدي بن يخلف	جدهم الحاج بلقاسم وهم عرب اشراف من مرابطي القليعة وقيل هم من أولاد عبد الله من بني عامر من بني هلال وأخوانهم العلايلة القبالة وهم شمال تلمسان في بلدية الأمير عبد القادر. وهم من أكبر عروش المنطقة وهم عرب أشراف أصلهم من غريس من معسكر حيث ولد جدهم سيدي يخلف الإدريسي ويعود أصله لمكناس من الشرفاء ومن أبناء سيدي يخلف : الحسن ولم يعقب وأحمد الذي انتقل إلى بلاد القبائل في جرجرة ويسمى سيدي أحمد الغربي وسيدي الحاج وسيدي صالح وهؤلاء منهم عرش في ولهاصة ومعسكر وترارة وهم فرقة كبرى يصل تعدادهم لقرابة أربعين ألف نسمة متوزعين على قرى ومداشر ولهاصة ومعسكر وترارة سوق الخميس ومنهم فرقة ببلعباس في بن باديس.
عرش أولاد بوغراس	يسمون الغرارسة وهؤلاء قادمون من غريس يقولون أنهم من أشراف ومرابطي غريس وهم من أكبر عروش ولهاصة.
الزوانيف أولاد عايشة	هؤلاء من صريح بربر ولهاصة وديارهم آخر وطن ولهاصة على البحر ومرتفعات سيقا تجاورهم، وهؤلاء من العرب الأشراف حسب ما جاء به القاضي حشلاف في كتابه وذكرهم العشماوي وتعود أصولهم لفاس من المغرب.
الصوابرية	عرب وهؤلاء تعود أصولهم لمنطقة مديونة وهم من قبيلة الغسل المعقلية العربية القحطانية
الحدادة	بربر وأصولهم تعود لزناتة من تلمسان.
أولاد بوجما وأولاد كاسلي	هم من بربر ولهاصة وقيل أنهم من بني ورنيد من جبل تلمسان.
المخاترية	عرب أشراف وأصولهم تعود لمعسكر من أولاد سيدي قادة .
البوحمايدية	عرب ودوراهم جنوب ولهاصة طريق تلمسان وهؤلاء أصلهم من البواشيخ من جنوب الأبيض سيدي الشيخ وقيل هم من الحميان ومنهم الخليفة البوحميدي الولهاصي.
مخنطر	وأصلهم من بني عامر من سيدي بلعباس.
الرماينة والأبغال	هؤلاء بربر من زناتة
لالة واشا	هؤلاء أصلهم من سقونة ويقال قادمون من المغرب.
عرش أولاد يوسف وسي البشير	هؤلاء في تادماية وهم في الأغلب من زناتة ويقولون أنهم من أولاد سيدي الشيخ.
الشهابنة	هؤلاء من بربر بني عابد من زناتة.

جدول يجمع عروش وقبائل منطقة ولهاصة

أما من حيث الحدود القبلية لمنطقة ولهاصة، فيحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، وجنوبا قبائل الغسل كمديونة، أما غربا فيحدها بني عامر بتعدد فروعهم، في حين يحدهم شرقا قبائل ترارة كالسواحلية وبني وارسوس وبني خلاد، الخريطة المقدمة توضح التوزع القبلي لولهاصة:

خارطة تبين موضع قبيلة ولهاصة نسبة للقبائل المتجاورة لها[6]

المطلب الثاني: المدلول التّاريخي بمنطقة ولهاصة

تاريخيا وبالرّغم من أنّ جذور مدينة سيقا (أرشقول الإسلامية) ضاربة في التاريخ إلا أن أوّل ذكر للمدينة كان في فترة الغزو الروماني لشمال أفريقيا (القرن الأول قبل الميلاد)، وعلى امتداد حوالي 700 سنة خضعت المدينة للسيطرة الأجنبية، من الحكم الروماني إلى فترة غلبة الوندال على بلاد المغرب القديم وصولا إلى الاحتلال البيزنطي، لكن طيلة تلك الفترة لم ينعم المحتلون بالسلم والهدوء فالمنطقة كانت موطنا لقبيلة زناتة وفروعها (مغراوة، مغيلة وبني يفرن) وهي قبيلة بربرية بترية معروفة بنزعتها الاستقلالية وعدم قابليتها للخضوع الأجنبي، أما في الفترة الإسلامية فبتتبع خطوات الفتح الإسلامي للمنطقة، من عهد أبي المهاجر دينار[7] مرورا بمسيرة عقبة ابن نافع وولاية موسى ابن نصير، وصولا إلى عهد الولاة الأمويين، من خلال أمهات المصادر التاريخية والجغرافية، فإننا لم نجد أي ذكر للمنطقة فيها، ويرجع الأمر في اعتقادي إلا كون أغلب المناطق التاريخية الواقعة على الشريط الساحلي لبلاد المغرب، إنما تأسست كمراكز تجارية للفينقيين أو كموانئ للرومان والبيزنطيين، ولم يكن لها أي دور هام في الأحداث السياسية والتاريخية خلال الفترات الأولى من الفتح الإسلامي، نتيجة انحصار النزاع و المعارك بين الفاتحين المسلمين و البربر في المناطق الداخلية، و بعد أسلمة المنطقة ارتبطت الأحداث في المنطقة ارتباطا وثيقا بما كان يحدث في تلمسان خاصة، فأضحت المنطقة قطاعا تابعا للحكم الأموي في دمشق، ثم لحكم العباسيين في بغداد، مع مراعاة تبعية هذا الجزء من العالم الإسلامي أحيانا لحكم الإمارات المستقلة أو المنتفضة عن الحكم المركزي للدولة الإسلامية حتى التّواجد العثماني بها.

المبحث الثاني: شخصية القائد محمد البوحميدي

لقد فرض واقع مشروع الاحتلال الفرنسي على الأمير عبد القادر تقسيم البلاد وفق مقاطعات إدارية على رأس كلّ منها خليفة، وكانت مقاطعة تلمسان من أولى الولايات المشكّلة، عُيّن على رأسها محمد البوحميدي الولهاصي بداية من1834م، وتمثّل دور هذا الأخير في الوقوف على الظّروف العامة لها- سواء من النّاحية الإدارية التّنظيمية أو الناحية العسكرية الجهادية- فتصدّر مجابهة قوات الاحتلال للتّقليل من تحرّكاته وصدّ هجماته، خاصة بعد توغّل هذا الأخير إلى عدّة مناطق منذ سقوط مدينة الجزائر، ولا شكّ إنّ اختيار الأمير عبد القادر لمحمد البوحميدي ابن منطقة ولهاصة لم يكن من فراغ، بل هو في غالب الظنّ جاء انطلاقا من الخبرات العسكرية والإدارية التّي تميّز بها الولهاصي.

المطلب الأول:التّعريف بشخصية البوحميدي

محمّد أبو عبد الله البوحميدي مرابط من ولهاصة، وُلد سنة1227هـ/1812م، وقيل1226هـ/1811م بأحد مداشر ولهاصة، وكما جرت عادة صغار ذاك الزّمان فقد تعلم مبادئ الكتابة والقراءة في كنف العائلة، وكذا حفظ القرآن الكريم في المسجد الأثري الباقي ليومنا هذا بمدشر الهداهدة، ويسمّى باسمه "مسجد البوحميدي"، وتدرّج في علوم الفقه والشّريعة والتّفسير حتّى اشتهر فيهما، زد على هذا كلّه هوايته للفروسية ومختلف فنون القتال[8] حتّى تصدّرهما في المنطقة، يُعتقد أنّه التقى مع الأمير عبد القادر في وهران أثناء دراسته هناك[9].

من الذّين تحدثوا عن البوحميدي و ميزاته و أخلاقه نجد شارل أندري جوليان، المؤرخ الفرنسي الشّهير الذّي قال عنه أنّه اتّسم بالشّجاعة والعزيمة الصّادقة والرأي السّديد وذو حنكة عسكرية وسياسية كبيرة[10]، وأضاف جوليان أن الأمير عبد القادر كان يصف البوحميدي بالنّفوذ على منطقة تلمسان نظير الصّلابة و الفطنة التّي امتاز بها وهو من أفضل الفرسان قيادة وعدّة.

المطلب الثاني: مقاطعة تلمسان و دوره الإداري بها

لقد تمّ تشكيل مقاطعتين إداريتين من طرف الأمير عبد القادر بعد معاهدة تافنة، مقاطعة معسكر وعلى رأسها ابن التّهامي ومقاطعة تلمسان وعلى رأسها محمد البوحميدي الولهاصي، تأكيدا لتعيينه –أي البوحميدي- قبل ذلك كخليفة للأمير في الغرب الجزائر بعد مبايعته البيعة العامّة في فيفري 1833م، وامتازت مقاطعة تلمسان بامتدادها الواسع، وبكونها منطقة حدودية ونقطة عبور وما تمثله هذه الأخيرة من أهمية إستراتيجية اقتصادية وتجارية.

ولابدّ أن نشير إلى أنّ هذا التّثبيت في المنصب من طرف الأمير للقائد البوحميدي لم يأت من فراغ، بل أملته الظروف المحيطة والخصال التّي تمتّع بها هذا الأخير، خاصّة و أنّ البوحميدي كان في تنافس مع محمد بن نونة الذي كانت له رغبة ذاتية في تقلّد هذا المنصب، وقد أشار إلى ذلك يوهان كارل بيرنت الأسير الألماني

بصراحة حين قال:" وإنّما عيّن – يقصد الأمير- النّبيل العالم البوحميدي خليفة لمدينة تلمسان – تمييزا له عن منافسه محمد بن نونة-"[11].

وقد برهن البوحميدي على أحقيّته في تبوّء المنصب هذا بعديد الأعمال لعلّ أهمها تفطّنه للجاسوس ليون روش فترة بقائه بتلمسان، فقد راودته الشّكوك حوله حتّى حاول إعدامه ومنع عنه السّفر إلى أن يأذن له هو شخصيا، ويوضّح لنا الأستاذ يوسف مناصرية هذا الموقف في النصّ التّالي:"...وأثناء إقامة ليون روش في مدينة تلمسان، شكّ فيه المسلمون و اعتبروه جاسوسا فرنسيا، فوضع عليه الخليفة البوحميدي عيونه، ولمّا أحس – يقصد ليون روش- بذلك حاول الفرار إلى وهران، لكنه فشل"[12]، أما عن عدم معاقبته عن ذلك من طرف البوحميدي وسبب ذلك فيوضّحه الأستاذ مناصرية دائما "ولما قرّر الخليفة إعدامه بادره روش تحت قناع الإسلام، بأنّه مسلم لا يجوز قتله غلّا بأمر السلطان...، فعفا عنه الخليفة وقرّر إرساله إلى الأمير، خاصة و أنّ رأي مجلس البوحميدي كان في صالح روش"[13].

ولم يكن الأمير عبد القادر هو الآخر ليغفل عن ذكر محاسن الخليفة البوحميدي كصرامته وقدرته على ضبط شؤون مقاطعته، إذ جاء على لسانه :"...ولكن عندما استؤنفت الحرب –بداية من 1839م- لم أستطع أن أمنع الغش، ...ولم يستطع سوى خليفتين أن يحافظا على النّظام الذّي أقمته إلى آخر لحظة و هما : البوحميدي وابن علّال، وقد كان الناس يخشون كلّ منهما لصرامته"[14].

ومنذ إبرام اتفاق تافنة بين الأمير وبيجو أصبح البوحميدي يعقد اجتماعاته في قصر الخلافة بالمشور.

إن تحالف الكثير من القبائل مع الفرنسيين بعد إغرائهم بالأموال والمناصب وإخضاع عديد القبائل الموالية للبوحميدي وكذا السّياسة القمعية التّي انتهجها الجنرال بيجو في حق القبائل المقاومة، كلّ هذا صعّب من مأمورية المقاومة الوطنية، ممّا أثّر سلبا في نشاطها الكفاحي ضدّ المستعمر، أدّى هذا التأثير السّلبي إلى لجوء الأمير عبد القادر وقائديه البوحميدي وابن التّهامي إلى الناحية الغربية للبلاد حتّى وصلا لوادي ملوية الحد الفاصل بين الجزائر والمغرب، إلى أن انتهيا إلى دائرة المقاومة الموجودة بسهل تريفة القريب من زايو داخل الأراضي المغربية، هناك اتصل به محمد بن عبد الرّحمان شيخ قبيلة الأحلاف مقترحا على الأمير عبد القادر إرسال سفارة للسلطان المغربي مولاي عبد الرّحمان، فعمل الأمير بقوله وأرسل معه أقرب مقرّبيه خليفته البوحميدي، لكن السّلطان عبد الرّحمان ألقى القبض –على حسب أرجح وأغلب الأقوال- على محمد البوحميدي الولهاصي وسجنه ثم بعد أيام دسّ له السمّ فمات بسجنه -باتفاق المؤرخين- [15]، وبهذا إنتهت حلقة من حلقات المقاومة الوطنية أبدت شجاعة كبيرة وأبلت بلاء حسنا في سبيل هذا الوطن، فرحم اللّه شهداءنا الأبرار.

المبحث الثالث: دراسة وصفية معمارية لمسجد البوحميدي

عندما يقوم أحد الأئمة مما أشتهر بالصلاح و العلم بتدريس مختلف العلوم في مسجد ما، فإن وفاته تتطلب أن يدفن بالقرب من مسجده ذاك و يقيم له تلامذته قبة على قبره ، هذه هي الفكرة الأساسية لانتشار هذا النوع من الأضرحة، و هي كثيرة جدا في مختلف العالم الإسلامي، هذا ما إصطلحنا عليه هنا ضريح المساجد، و يدخل ضمنه كذلك تلك القبور لأصحابها الموجودة داخل المساجد، و بتبسيط العبارة فإن المسجد في هذه الحالة تم بناءه قبل دفن الشخص الصالح الولي التقي العابد.

المطلب الأول:موقع المسجد

يقع المسجد في مدخل قرية الهداهدة أو قرية بوجرة كما تسمى، نلج له عبر مدخل واحد مقابل لمدخل المسجد الجديد المقام حديثا، ويؤدي نفس المدخل إلى المسجد العتيق الآخر الذي ربما كان قد شيد خلال فترة الإحتلال الفرنسي أو نحو ذلك.

دفن داخله سيدي عبد القادر، أحد رجالات العلم الذين تصدوا للعلم بالمسجد بداية من سنة 1830م إلى غاية وفاته عام 1845م، وأمّا عن نسب هذا الأخير فهو عبد القادر بن يوسف بن محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمان القصري الفاسي المتوفى عام 1007هـ، ويتعتقد أنّ خليفة الأمير عبد القادر القائد البوحميدي الولهاصي درس بهذا المسجد، كما يشاع أنّ الأمير عبد القادر قد مكث فيه مدة من الزمن.

المطلب الثاني: الوصف المعماري العام للمسجد

يتألف المسجد من قسمين أساسين هما بيت الصلاة والرواق الأمامي، حيث يتقدم بيت الصلاة رواق مسقوف موازي للجدار الشرقي لهذه الأخيرة، بني نصفه الأيمن بجدار توسطته نافذة مستطيلة الشكل بعرض 0.4م وارتفاع 0.71م، في حين قسمت دعامتين النصف الأيسر المتبقي إلى ثلاث مداخل، أوسطهما عرضه 1.98م بينما عرض الجانبيان 1م، تم تسقيف الرواق بسقف قوامه ملاط من التربة الجيرية وبعض المثبتات الطبيعية النباتية والحيوانية، محمولة على طبقة من القصب العمودي على الرواق، وتم حمل القصب على عوارض خشبية موازية للرواق المتقدم، ودعمت هذه الأخيرة بأوتاد خشبية، وهذا التنظيم التسقيفي للرواق هو نفسه الذي يغطي كامل المسجد، وشكلت فتحة المحراب خارجا بروزا بالجدار القبلي بمنتصف الرواق على شكل كتلة مربعة الشكل مقببة من أعلى، وفتح بالجانب الأيمن لهذا البروز نافذة خشبية من مصراع واحد ارتفاعها 0.8م وعرضها 0.56م ، في حين فتح على يساره المدخل المرتفع ب2.1م وعرضه تتألف هذه الأخيرة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة عرض الأمامي 2.8م والخلفي 2.2م، وأربع بلاطات عمودية على نفس الجدار عرضها 2م، وتتكون هذه البلاطات والأسكوبين بواسطة صف من الدعامات مربعة المسقط

عرضها 0.5م، تسير بموازاة جدار القبلة وتحمل عقودا موتورة أو منخفضة، يتوسط المحراب جدار القبلة 1.1م، نلج من خلاله لبيت الصلاة التي ظهر قوام تخطيطها مستطيل الشكل، يبلغ طوله 8.10م وعرضه 5م، وهو مجوف ومستطيل المسقط، عرضه 1م وعمقه 0.42مم وارتفاعه 2.10م، فتحت فيه نافذة صغيرة للإضاءة والتهوية، تنتهي تجويفته في الأعلى بحنية ذات عقد نصف دائري، وفتح بينه وبين المدخل فتحة صغيرة أخرى

صورة لمسجد البوحميدي الولهاصي – من تصوير الباحث–

وتخلل الجدار الخلفي عدة كوات مصمطة أو مشكوات لوضع شموع الإضاءة، وضع منبره الخشبي في القسم الخلفي المحصور بالبلاطة الأولى يسار الداخل، وهو نفسه المكان الذي فيه قبر العالم سيدي علي بن يوسف، أخرج من سقف الرواق أنابيب بلاستيكية لتصريف الماء، كما نشير إلى أن الجانب الشمالي من الرواق فتح فيه باب خشبي مؤدي إلى مقصورة المسجد المستطيلة، وهذه الأخيرة يوجد بها قبر محدد بقطع من الآجر يقال أنها لأحد مقدمي زاوية سيدي الجازولي.

ينتمي الطراز المعماري لمسجد محمد البوحميدي الولهاصي إلى فئة بيوت الصلاة المسبوقة بأروقة[16]، كما أنّه لم يخرج مخطط هذا المسجد عن نطاق التكوين الأساسي القائم على بيت الصلاة المسبوقة برواق وبعض الفضاءات المضافة كالخربيش أو الكتّاب والضّريح والمخزن.

جاءت قاعة الصلاة بهذا المسجد وفقا لما يصطلح عليه أثريا ومعماريا الطراز المحلي، تمييزا له عن طراز المساجد الوافد من تركيا والمشرق خلال الفترة العثمانية وهي نفس الفترة التّي انشا خلالها هذا المسجد، وهذا الطراز المحلي التقليدي قائم في أصله على نظام الأعمدة والدعامات، سواء كانت هذه المساجد بصحن أو بدونه، ويغطى بسقف مسطح مستوي أو مائل، وفي دراستنا هذه قسّمت بيت الصلاة عرضيا إلى قسمين طوليين موازيين لجدار القبلة متقاطعين مع أربعة بلاطات عمودية عليها، في حين جاء الرّواق ذو شكل مستطيل

تحدده بائكة من الدعامات التي لا تحمل عقودا، وهو يعوّض الصّحن أو الباحة المشهورة ببعض المساجد العثمانية الواقعة داخل النّسيج الحضري حسب ما ذكرته الأستاذة ليهم زينب قائلة:" بالنسبة للمساجد الريفية، وكما سبق أن أشرنا أن معظمها تأتي خالية من هذا العنصر المعماري الهام –تقصد الصحن– بل تكتفي فقط بالرواق الأمامي"[17].

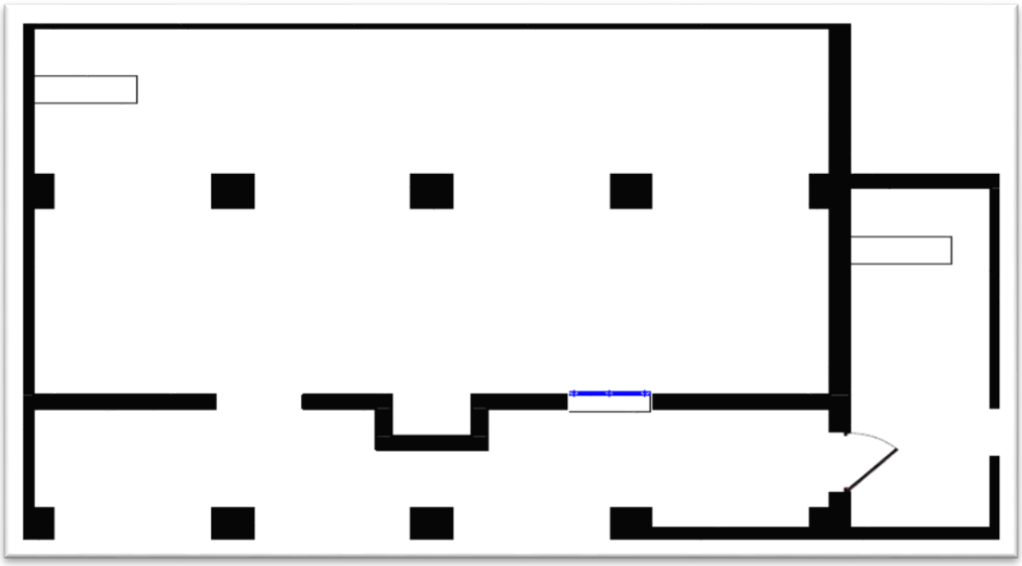

مخطط مسجد البوحميدي الولهاصي –من إعداد الباحث–

في حين جاء الرّواق ذو شكل مستطيل تحدده بائكة من الدعامات التي لا تحمل عقودا، وهو يعوّض الصّحن أو الباحة المشهورة ببعض المساجد العثمانية الواقعة داخل النّسيج الحضري حسب ما ذكرته الأستاذة ليهم زينب قائلة:" بالنسبة للمساجد الريفية، وكما سبق أن أشرنا أن معظمها تأتي خالية من هذا العنصر المعماري الهام –تقصد الصحن– بل تكتفي فقط بالرواق الأمامي"[18].

أمّا المحراب فهو نصف الأسطوانة أو التجويف الجداري الذي يعلو رأسه نصف كرة تسمّى الطّاقية أو الطّاسة أو الصَّدفة حسب طبيعة الزّخرفة[19]، ويتوسط – غالبا– جدار القبلة الذي يقابل اتّجاه الكعبة المشرّفة، وهذا الوضع الجغرافي هو الذي حتّم على المعماري المسلم توجيه المحراب نحو اتّجاه الكعبة[20]، وبهذا فالمحراب هو جهة القبلة وتوجه المصلين والمحل الذي يتصل الإنسان المسلم بربه، كما يمثل عنصراً في غاية الأهمية في عمارة المسجد بشكله المجوف، ولم يذهب المسجد بعيداً عن منظومة المحراب الاعتيادية، فمحراب المسجد يرتفع بارتفاع جدار القبلة داخلياً تعبيراً عن السمو ويتناسب مع ارتفاعه القبة التي تعلو فراغ المحراب، والتي ترتفع عن مستوى كل عناصر المسجد باستثناء مئذنته، احتوى مسجد البوحميدي على محراب يتوسّط جداره القبلي برزت كتلته بالخارج بشكل مستطيل تعلوها إنحناءة نحو الجدار، انتهت التجويفة التي تكتنف فتحة المحراب من الأعلى بعقد منخفض.

صورة محراب مسجد البوحميدي– من تصوير الباحث–

أمّا عن العقود أو الأقواس فهي عبارة عن امتداد صلب منحني للأعلى بين نقطتين تدعمانه، تعتبر العقود من الوحدات المعمارية التي تجمع بين دورين، وظيفي معماري وجمالي، ففي الحالة الأولى تبرز أهميته في قوة تحمل السقف والإنارة والتهوية من خلال فتحته، أما كعنصر الجمالي فإن شكلها هو الذي يوحي بذلك[21]، وقد طوّر المسلمون أنواعا مختلفة من الأقواس، فجاءت مدبّبة ودائرية وحذوية، وجعلوا للأقواس وظيفة هندسية وجمالية في آن واحد، وارتكزت على الأعمدة والدعامات المتمركزة ببيوت الصلاة وغرف الأضرحة، كما توجت نهايات المداخل والفتحات والكوات وحنيات المحاريب ومداخل المنابر[22]، وفي مسجد البوحميدي تمّ اعتماد العقود الموتورة المركزية.

صورة العقود الموتورة المركزية ببيت صلاة مسجد البوحميدي– من تصوير الباجث–

بينما الحديث عن مدخل المسجد يقودنا إلى الحديث عن تعريفه أوّلا، فهو الفتحة أو الباب الذي نلج بواسطته أو ندخل من خلاله إلى داخل الضريح أو المسجد، والمدخل هو الفتحة القائمة في باب المدينة أو الحصن، أو في واجهة المنزل أو القصر أو المسجد[23]، وهو نوعان : النوع الأول يظهر بسيطا وهو على شكل فتحة معقودة بعقد نصف دائري يؤدي مباشرة إلى السقيفة، أما النوع الثاني فهو الكتلة البارزة على الواجهة وهي ظاهرة معمارية تعرف باسم مقدم المبنى كما يطلق عليها اسم المداخل التذكارية[24]، وأشار عاصم محمد رزق إلى قيمته المعمارية الزخرفية وإلى كونه يلعب دورا هاما في تكوين واجهات العمائر الأثرية الإسلامية، وزاد في تعريفها على أنها كل فتحة في بناء مما يغلق عليه بمصراع أو مصراعين[25].

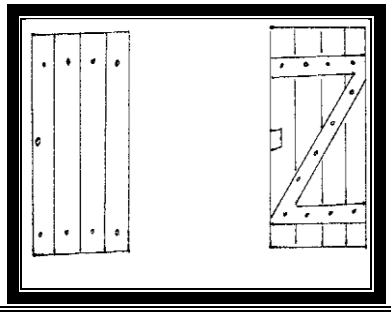

باب ذات مصراع

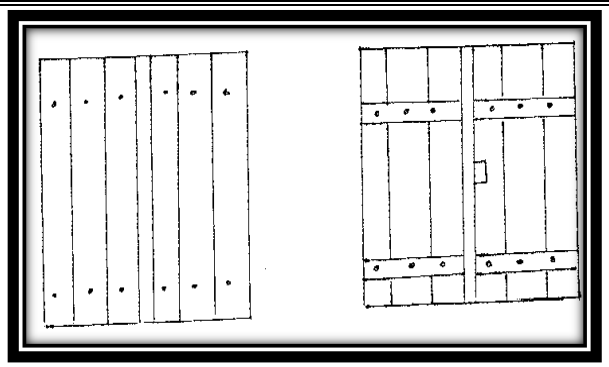

باب ذات مصراعين

لوحة تجمع شكلا الأبواب ذات المصراع وذات المصراعين–من إعداد الباحث–

ويتكون غالبا المدخل من:

- ✓ العتبة : أسكفة الباب التي توطأ ، وهي درجة صخرية موضوعة عند المدخل قبل الباب.
- ✓ الخشبة : التي فوق الساكف الأعلى.
- ✓ الحاجب والساكف: هو الموازي للعتبة من الأعلى.
- ✓ العضادتان: العارضتان .

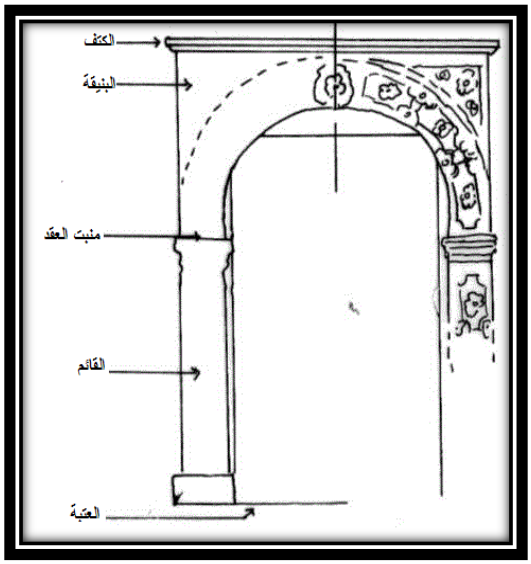

شكل يوضح مكونات المدخل الأساسية[26]

وقد أعطى الأستاذ عقاب محمد الطيب تفصيلا لتركيب المدخل بقوله:" يصمم إطار أو يتبث في الجدران حاجب يخفي إلتصاق الإطار بالجدار، ويتبث على هذا الإطار مصراعين[27]، يتكونان من قائمتين ورأسين، وتغلق الأبواب من الداخل بواسطة مزالج بسيطة وطويلة."[28].

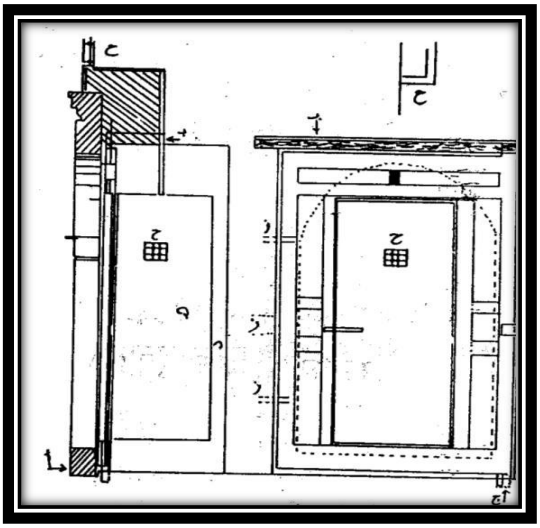

شكل يبيّن تفصيل لتركيب الأبواب كما أعطاه الأستاذ طيب عقاب[29]

والمدخل هو الرابطة والواصلة بين وسطين أحدهما عام والآخر خاص، حيث كان مع بداية إنتشار الإسلام عبارة عن فتحات في الجدران، وقد تتعدد المداخل في المبنى الواحد، كما قد تتعدد في الجدار الواحد، ويعتمد عدد وضخامة وسعة المداخل في أي عمارة مهما كان نوعها على سعة موقع هذه العمارة في حد ذاتها، وتقسم المداخل بحسب شكل حاجبها أو ساكفها إلى قسمين: مسطحة ومعقودة.

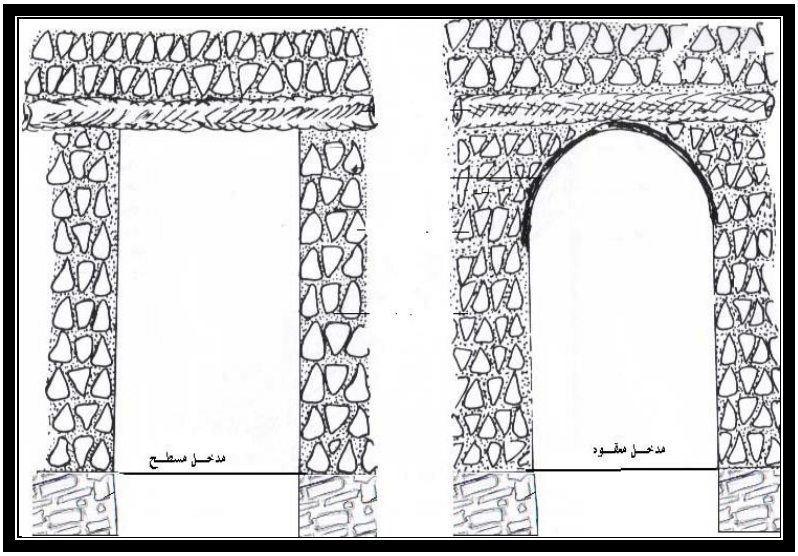

لوحة تجمع شكلا المدخل من حيث نهايتهما العلوية[30]

كما تعددت المداخل في المسجد محل دراستنا، وقابل هذا التعدد تنوع كبير في المداخل من حيث الأحجام والسعة والأشكال، ونظرا للنماذج الكثيرة سنكتفي بذكر المدخل الرئيسي له فقط.

تخلل الجزء الشمالي من جدار الرواق الذي يسبق بيت الصلاة في مسجد البوحميدي مدخلا معقودا غائرا فيه، عرضه 0.70م و إرتفاعه 1.5م، رفعت عتبته قليلا على مستوى الأرضية لمنع دخول الماء و الأتربة.

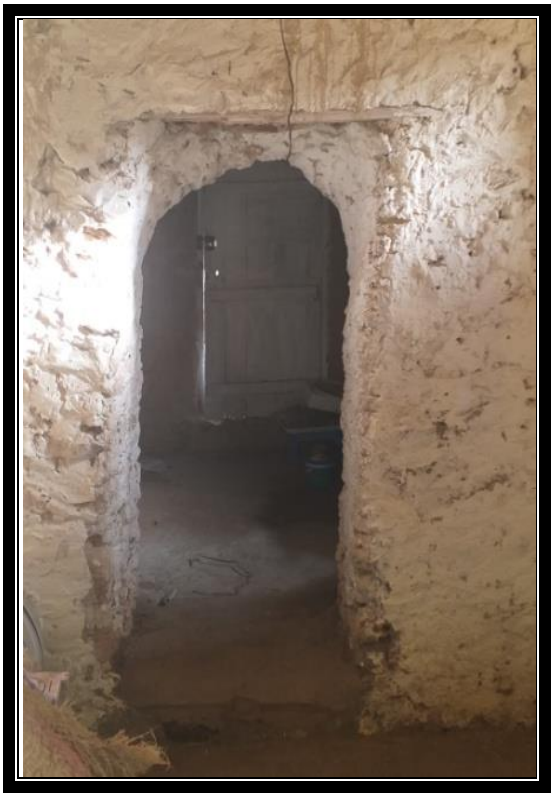

صورة المدخل الشمالي لمسجد البوحميدي الولهاصي– من تصوير الباحث–

خاتمة:

بعد تسليط الضوء على جزء من العمارة الدينية بمنطقة ولهاصة المتمثّل في مسجد البوحميدي الولهاصي، تبين لنا غنى هذا الأخير بعناصر معمارية عديدة قابلة للدراسة والبحث، سواء نظريا أو ميدانيا، وهذا ما حاولنا جاهدا الوصول إليه.

من أجل كل هذا فتشنا عن أهم المعطيات الجغرافية والتاريخية للمنطقة، والتي شكلت إضافة للاستقرار السياسي رغم تنوع السلالات الحاكمة لها، أهم عاملين لتحتل موقعا جاذبا للاستقرار والاستثمار بها.

إن هاذين العنصرين انعكسا إيجابا على المنطقة، فشهدت نهضة عمرانية ومعمارية، وهذا بعد تشكيل إطار اجتماعي متعدد الثقافات (شرفة- مرابطين- بربر- عرب- أندلسيين...).

من أهم العمائر التي أخذت حيزا هاما من اهتمامات أهالي ولهاصة وحكامها نجد مسجد القائد البوحميدي بالهداهدة، وهذا ضمن مسايرة الحركة العلمية التي شهدتها المنطقة عبر فترات تاريخية متعاقبة.

فوفاة ولي صالح استلزم على السكان دفنه قرب مسجده، وهذا كله لترابط الخيال مع الحقيقة من جهة، وكذلك للاعتقاد بكرامات الولي من جهة أخرى.

وفي الأخير ما يسعنا إلا أن نأسف للوضع الذي آل إليه هذا المسجد، رغم الاهتمام الملاحظ من السكان المحليين، والذي لم يتجاوز حد إعادة الطلاء أو التنظيف، مما يجعلنا نوصي في هذا المقام السلطات المحلية للاهتمام أكثر بهذا التراث الثقافي المهم للمنطقة، خاصة إذا ما تم اعتماده في السياحة الدينية والمناسبات العديدة التي اشتهرت بها المنطقة.

ومن هذا المقام ما يسعنّا إلّا أن ندعو الله عزّ وجلّ أن يرحم ويغفر لأستاذنا بن سنوسي بوزيان، شريكنا في هذا البحث، وإن شاء الله تكون هذه الدّراسة صدقة جارية على روحه وأجرا في ميزان حسناته.

قائمة المراجع والمصادر:

1. ميلود رقيق، **عين تموشنت عبر العصور**، دار الكتاب العربي، فرع سطيف، 2010م.
2. عبد القادر بن يخلف، **ولهاصة: تاريخ وأصالة**، دار الرحمة للنشر و الطباعة، وهران، 1968م.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م.
4. أديب حرب، التّاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1983م.
5. يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005م.
6. يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847م، المطبعة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
7. شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005م.
8. عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
9. محمد حمزة الحداد، **الرواق في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة: دراسة تاريخية آثارية**، سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ج3، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004م.
10. ليهم زينب، **المساجد الريفية بمنطقة بجاية: دراسة معمارية أثرية**، مذكرة لإتمام متطلبات شهادة الماجيستر في الآثار الريفية والصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011م.
11. قتيبة الشهابي، **زخارف العمارة الإسلامية في دمشق**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1996م.
12. صالح بن قربة، **علم الآثار و الهوية المغربية**، دار الهدى، عين مليلة،2012م.
13. أوقطاي أصلان آبا، **فنون الترك و عمائرهم**، تر:أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1987م.
14. عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية**، مطبعة مدبولي، القاهرة، 2000م.
15. نصيرة تتبريت، العمارة الدينية والمدنية بمدينة المدية خلال العهد العثماني: دراسة تاريخية وأثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، الجزائر،2009م.
16. سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة: دراسة معمارية أثرية، مذكرة لإتمام متطلبات الحصول على الماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009م.
17. محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، 2002م.
18. دحمون منى، قصر بوسمغون بولاية البيض: دراسة أثرية تحليلية، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجيستر في الآثار الإسلامية،معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2005م.
19. Ch A Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), éd PUF, Paris, 1989.

20. موقع الوكالة الوطنية للتنمية السياحية: http://www.andt-dz.org/ar .

21. موقع مديرية الإدارة المحلية لولاية عين تموشنت:
http://www.wilaya-aintemouchent.dz/secteurs/direction-administration-locale

22. موقع زاوية سيدي يعقوب:
http://oulhassa.e-monsite.com/pages/articles-arabes/sidi-yacoub

قائمة الهوامش والإحالات:

[1] ميلود رقيق، **عين تموشنت عبر العصور**، دار الكتاب العربي، فرع سطيف، 2010م، ص13.

[2] المكلف بالإعلام بالوكالة الوطنية للتنمية السياحية، **الموضع الجغرافي لولاية عين تموشنت**، نشر في فيفري 2012م، أطّلع عليه في مارس 2021م، http://www.andt-dz.org/ar

[3] تحتل المنطقة جغرافيا موقعا ساحليا، تمثل في 25 كلم تقريبا على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط وعلى عمق 2 كلم، لتشمل عديد الشواطيء الرملية والحجرية، منها ما هو محروس اليوم، والآخر غير محروس.

[4] ANURB ,**Amenagment et Reglement (Daira de Oulhasa)** ,PH3 AinTemouchent, 2010,p10.

[5] مديرية الإدارة المحلية لولاية عين تموشنت، **التّقسيم الإداري لولاية عين تموشنت**، نشر في سبتمبر 1999م، اطّلع عليه في مارس 2021م، http://www.wilaya- aintemouchent.dz/secteurs/direction-administration-locale

[6] منسّق موقع زاوية سيدي يعقوب، خارطة قبائل ولهاصة، نشر في 17 ماي 2000م، اطلع عليه في جانفي 2016م، http://oulhassa.e-monsite.com/pages/articles-arabes/sidi-yacoub

[7] ذكر الباحث في تاريخ المنطقة المرحوم عبد القادر بن يخلف– رحمه الله– في كتابه "ولهاصة : تاريخ وأصالة" ما نصّه: "...وأول ظهور لمنطقة أرشقول وكان اسمها آنذاك سيقا على مسرح الأحداث يعود لحوالي سنة 683م، فخلال إجراء أولى أكبر المعارك الفاصلة بين جيش الفتح الإسلامي بقيادة أبو المهاجر دينار وجموع قبيلة أورية البربرية بقيادة كسيلة، تم اختيار المنطقة من طرف الفاتحين المسلمين لتكون مركزا لتجمع حامية عسكرية إسلامية من ميمنة الجيش الإسلامي..."، ولا أدري من أين جاء بهذه المعلومة حيث لم يذكرها على ما أعتقد أحد لا قبله ولا بعده، لأن جيوش أبي المهاجر التقت مع جيوش كسيلة في مشارف تلمسان والمنطقة بعيدة عن موقع المعركة، ومنطقيا لا يمكن لأي كان بها أن يساهم في المعركة هذه أيا كانت أدواره، انظر: عبد القادر بن يخلف، **ولهاصة: تاريخ وأصالة**، دار الرحمة للنشر و الطباعة، وهران، 1968م،ص13.

[8] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، طبعة دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998م، ص207.

[9] أديب حرب، التّاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري،ج2، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، الجزائر، 1983م، ص51.

[10] Ch A Julien, Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827- 1871), éd PUF, Paris, 1989, p183.

[11] يوهان كارل بيرنت، الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص158.

[12] يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847م، المطبعة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م،ص27.

[13] نفسه، ص28.

[14] شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2005م، ص114.

[15] عبد الرّحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م، ج 4، ص 72، 77.

[16] الرواق : هو المساحة أو الممر المسقف المحصور بين صفين من الأعمدة أو الدعامات، أو بين جدار و صف من الأعمدة أو الدعامات، وهو ما يعرف إصطلاحا بالبائكة. انظر: محمد حمزة الحداد، **الرواق في العمارة الإسلامية بمكة المكرمة: دراسة تاريخية آثارية**، سلسلة العمارة الإسلامية في الجزيرة العربية، ج3، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، 2004م، ص8.

[17] ليهم زينب، **المساجد الريفية بمنطقة بجاية: دراسة معمارية أثرية**، مذكرة لإتمام متطلبات شهادة الماجيستر في الآثار الريفية والصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011م، ص45.

[18] ليهم زينب، **المساجد الريفية بمنطقة بجاية: دراسة معمارية أثرية**، مذكرة لإتمام متطلبات شهادة الماجيستر في الآثار الريفية والصحراوية، معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2011م، ص45.

[19] قتيبة الشهابي، **زخارف العمارة الإسلامية في دمشق**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق،1996، ص307.

[20] صالح بن قربة، **علم الآثار و الهوية المغربية**، دار الهدى، عين مليلة،2012، ص65.

[21] أوقطاي أصلان آبا، **فنون الترك و عمائرهم**، تر:أحمد محمد عيسى، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية، إسطنبول، 1987م، ص41.

[22] تجنبا للتكرار فإن الحديث عن العقود في هذه العناصر المعمارية مرتبط بالحديث عن كل عنصر منها على حدا.

[23] عاصم محمد رزق، **معجم مصطلحات العمارة و الفنون الإسلامية**، مطبعة مدبولي، القاهرة، 2000م،ص23.

[24] نصيرة تتبريت، العمارة الدينية والمدنية بمدينة المدية خلال العهد العثماني: دراسة تاريخية وأثرية ، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية،معهد الآثار،الجزائر،2009. ،ص62.

[25] محمد عاصم رزق، المرجع السابق، ص66 و ص267.

[26] سعاد بن شامة، المنشآت المعمارية الأثرية بمدينة البليدة: دراسة معمارية أثرية، مذكرة لإتمام متطلبات الحصول على الماجيستر، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009م، ص258.

[27] أو مصراع واحد، ويسمى أيضا بالضلفة.

[28] محمد الطيب عقاب، **قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، دار الحكمة، الجزائر، 2002م،ص156.

[29] نفسه، ص154.

[30] دحمون منى، قصر بوسمغون بولاية البيض: دراسة أثرية تحليلية، مذكرة لإتمام متطلبات نيل شهادة الماجيستر في الآثار الإسلامية،معهد الآثار، جامعة الجزائر2، 2005م،ص105.